Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فالنغمات ــ هنا ــ مطربة تثير البهجة ، وتشعر بالحسن الذى يغمر دمشق من شتّى الجهات ، فالسحاب يجلل جبالها ، والنبت يزركش صحراءها ، والغيث ينهلّ خضلا ، والنبت يزهو خضرا ، والطير يصدح غردا . وقد حققت المشاكلة بين الألفاظ وأصواتها ومعانيها مناخاً عبقاً بالحسن ، ولعله تعمّد ذكر الطائر الغرد ليمزج نغمات تغريده بالنغم الشائع فى القصيدة ، أو ليجعلنا نتوهم ذلك الإحساس .

والشواهد التى تزخر بالموسيقى لديه كثيرة ، نذكر منها أبياتاً من قصيدتيه :

« صنت نفسى عمّا يدنّس نفسى »
و « أيها العاتب الذى ليس يرضى »
فهو يقول فى السينية :

وتَماسَكتُ حينَ زَعْزَعَنى الدَّهـ ـرُ التِماساً مِنْهُ لِتَعْسِى ونَكْسِى

فالنغم فى قوله « زعزعنى » متفق مع المعنى المقصود ، وقادر على أن يبث فى نفوسنا الإحساس بالزعزعة وعدم الاستقرار . وقوله « تعسى » و« نكسى » يوحى بالانكسار والخنوع ، لو لم يسبقه بقوله « تماسكت » الذى يصور لنا مشهد مقاومة التصدّع والانهيار . ولا يلبث الشاعر أن ينقلنا من هذا الجو المضطرب ويجعلنا نرتفع معه بعد أن تماسك ووقف على قدميه . يقول الشاعر :

وقَديماً عَهِدتَنى ذَا هَنَاتٍ آبياتٍ على الدَّنِيَّاتِ شُمْسِ

ففى « هنات » و« آبيات » تمتد الأنغام وتطول نبراتها بما يوحى بالقوة لتنتهى إلى الاستقرار عند كلمة « شمس » ذات الصلابة والمتانة .

وفى قوله :

والمَنايَا مَوَاثِلٌ وأَنُوشَرْ وإن يُزْجِى الصُّفوفَ تحتَ الدِّرَفْسِ
من مُشِيحٍ يهوى بعامِلِ رُمْحٍ ومُليحٍ تحتَ السِّنانِ بِتُرسِ

نحسّ بالجوّ المخيم على ساحة المعركة ، ففى قوله « والمنايا مواثل » نغمات حزينة وقوة توحى برهبة توقع الموت . وفى « يزجى » توحى الموسيقى